

مذكرات المشاهير فى الميزان

فى السنوات الأخيرة من العمر ، تستحب مراجعة الإنسان لنفسه، بل لعلها تصبح واجبة . ومن المقرر أن هذه المراجعة تتطلب الاعتراف . والاعتراف نوعان : فمنه ما يكون شخصيا وسريا ، ومنه ما يكون اجتماعيا وعلنيا . وإذا كان الكثيرون منا يمارسون الاعتراف الشخصى الذى يدور بين الإنسان ونفسه ، فإن قلة قليلة من (الشجعان طبعاً) هم الذين يقدمون عليه بصورة علنية . وتتمثل صعوبة الاعتراف فى أنه يجبر الإنسان على استرجاع ما مضى من أفعاله وأقواله وربما أيضا ذواياه ، ثم يطرحها شفاهة أو كتابة على الناس حتى يتبين منها ماذا أخطأ فيه ، ومتى أصاب . وهنا يأتى المخوف والحساسية من أحكام الآخرين على الشخص ، والتي قد تقتصر على المخطأ دون الصواب ، أو التي تغلب أحدهما على الآخر ، تبعا لوجهات النظر المتعددة ، وأمزجتهم المتباينة

من هذا المنطلق ، يمكننا مقارنة ذلك الحشد الهائل من (مذكرات المشاهير) التي نشرها لكى تقدم صورة رائعة عن مسيرة حياتهم ، وأوجه نشاطهم ، وسلامة مواقفهم ، بالإضافة أحيانا إلى بعض اعترافاتهم الشخصية . وأهم ما يغلب على تلك المذكرات هو تحسين صورتهم ، بل وتلميغها لدى معاصريهم ، دون أن يدركوا ما سوف يواجههم به التاريخ الحقيقى برواياته المتعددة ، ووثائقه الثابتة، والتي يمكنها بكل بساطة أن تمحو هذا التحسين ، وتطفئ ذلك التلميع ، والنتيجة أن الغالبية العظمى من تلك (المذكرات) ما تلبث أن تسقط من أنظار المجتمع ، وتستقر أخيرا فى أودية النسيان

أما الاعتراف الصادق — فضلا عن أنه يريح نفس صاحبه ويخلصه من عذاب الضمير — فإنه يضيء للأجيال من بعده طريقا ، واضح

المعالم يكاد يمتد أمامهم بدون عشرات أو مطبات ، لماذا ؟ لأن الإنسان فى كل زمان ومكان يظل هو ذلك الكائن البشرى ، الذى يجمع المتناقضات ، فيه توجد القوة والمضعف ، والمشددة والملين ، والتماسك والانهيار . ويمكننى أن أتساءل هنا ، بل أسأل : من منا يستطيع أن يؤكد خلوه من بعض النقائص ، وأقلها الغيرة والحسد ، وأعظمها النفاق وإلحاق الأذى بالآخرين ؟ !

وهكذا فإن المحاولة (الفاشلة) لتحسين الشخص صورته وتلميع شخصيته فى أمثال تلك المذكرات لن تكون سوى محاولة نفخ فى الهواء ، وهى كما تنتج التكذيب وعدم التصديق ، فقد تثير السخرية ، وتأتى بنتيجة معاكسة تماما لما تمناها صاحب المذكرات . أما الاعترافات الصادقة والنايعة من القلب دون ادعاء أو مبالغه فهى الأجدد بأن تصبح جزءا من التاريخ وإضافة قيمة لأحداثه ، بل إنها تتجاوز ذلك لتساعد الأجيال الجديدة على مواجهة عقبات حياتهم الواقعية بمزيد من الثقة فى النفس ، وعدم التمسك بنماذج أولئك المشاهير على أنهم كانوا مبرأين من أى عيب.

ولعل من الأفضل أن نرجع فى هذا المصدد إلى القرآن الكريم لكى نقف منه على بعض الأوصاف التى نسبها للإنسان ، ومنها أنه:

- ضعيف (سورة النساء ، الآية72)
- هلوع أى شديد الخوف (المعارج19)
- ظلوم ، جهول (الأحزاب72)
- يؤوس ، أى كثير الميأس (هود 9)
- خصيم مبین ، أى مفرط فى المخصومة (النحل4)
- عجول ، أى متعجل أو متسرع (الإسراء 11)
- كفور (الإسراء67، الحج66)
- قتور ، أى شديد البخل (الإسراء 100)
- أكثر شقاء جدلا ، أى مجادل عنيف (الكهف54)
- إن الإنسان ليطغى ، أى يصبح طاغيا متجاوزا للحدود (المعلق2)

فهل يأتى بعد ذلك من يزعم أنه مبرراً من الأخطاء والخطايا البشرية، ويصور لنا نفسه فى صورة ملاك طاهر بريء، وهو يدرك فى أعماقه أنه قد مارس الخداع مرتين: الأولى مع نفسه، والثانية مع المجتمع كله.

مذكرات المشاهير فى الميزان

فى السنوات الأخيرة من العمر، تستحب مراجعة الإنسان لنفسه، بل لعلها تصبح واجبة. ومن المقرر أن هذه المراجعة تتطلب الاعتراف. والاعتراف نوعان: فمنه ما يكون شخصياً وسرياً، ومنه ما يكون اجتماعياً وعلنياً. وإذا كان الكثيرون منا يمارسون الاعتراف الشخصى الذى يدور بين الإنسان ونفسه، فإن قلة قليلة من (الشجعان طبعاً) هم الذين يقدمون عليه بصورة علنية. وتتمثل صعوبة الاعتراف فى أنه يجبر الإنسان على استرجاع ما مضى من أفعاله وأقواله وربما أيضاً ذواياه، ثم يطرحها شفاهة أو كتابة على الناس حتى يتبين منها ماذا أخطأ فيه، ومتى أصاب. وهنا يأتى الخوف والحساسية من أحكام الآخرين على الشخص، والذى قد تقتصر على الخطأ دون الصواب، أو التى تغلب أحدهما على الآخر، تبعاً لوجهات النظر المتعددة، وأمزجتهم المتباينة

**

من هذا المنطلق، يمكننا مقارنة ذلك الحشد الهائل من (مذكرات المشاهير) التى نشرها لكى تقدم صورة رائعة عن مسيرة حياتهم، وأوجه نشاطهم، وسلامة مواقفهم، بالإضافة أحياناً إلى بعض اعترافاتهم الشخصية. وأهم ما يغلب على تلك المذكرات هو تحسين صورتهم، بل وتلميعها لدى معاصريهم، دون أن يدركوا ما سوف يواجههم به التاريخ المحقيقى برواياته المتعددة، ووثائقه الثابتة، والذى يمكنها بكل بساطة أن تمحو هذا التحسين، وتطفى ذلك التلميع، والنتيجة أن الغالبية العظمى من تلك (المذكرات) ما تلبث أن تسقط من أنظار المجتمع، وتستقر أخيراً فى أودية النسيان

**

أما الاعتراف الصادق — فضلاً عن أنه يريح نفس صاحبه ويخلصه من عذاب الضمير — فإنه يضيء للأجيال من بعده طريقاً، واضح

المعالم يكاد يمتد أمامهم بدون عشرات أو مطبات ، لماذا ؟ لأن الإنسان فى كل زمان ومكان يظل هو ذلك الكائن البشرى ، الذى يجمع المتناقضات ، فيه توجد القوة والمضعف ، المشددة والملين ، والتماسك والانهيار . ويمكننى أن أتساءل هنا ، بل أسأل : من منا يستطيع أن يؤكد خلوه من بعض النقاىص ، وأقلها الغيرة والحسد ، وأعظمها النفاق وإلحاق الأذى بالآخرين ؟!

**

وهكذا فإن المحاولة (الفاشلة) لتحسين الشخص صورته وتلميع شخصيته فى أمثال تلك المذكرات لن تكون سوى محاولة نفخ فى الهواء ، وهى كما تنتج التكذيب وعدم التصديق ، فقد تثير السخرية ، وتأتى بنتيجة معاكسة تماما لما تمنها صاحب المذكرات . أما الاعترافات الصادقة والنابعة من القلب دون ادعاء أو مبالغة فهى الأجدد بأن تصبح جزءا من التاريخ وإضافة قيمة لأحداثه ، بل إنها تتجاوز ذلك لتساعد الأجيال الجديدة على مواجهة عقبات حياتهم الواقعية بمزيد من الثقة فى النفس ، وعدم التمسك بنماذج أولئك المشاهير على أنهم كانوا مبررئين من أى عيب.

**

ولعل من الأفضل أن نرجع فى هذا المصدد إلى القرآن الكريم لكى نقف منه على بعض الأوصاف التى نسبها للإنسان ، ومنها أنه:

- ضعيف (سورة النساء ، الآية72)
- هلوع أى شديد الخوف (المعارج19)
- ظلوم ، جهول (الأحزاب72)
- يؤوس ، أى كثير الميأس (هود 9)
- خصيم مبین ، أى مفرط فى المخصومة (النحل4)
- عجول ، أى متعجل أو متسرع (الإسراء 11)
- كفور (الإسراء67، الحج66)
- قتور ، أى شديد البخل (الإسراء 100)
- أكثر شقاء جدلا ، أى مجادل عنيف (المكهف54)
- إن الإنسان ليطغى ، أى يصبح طاغيا متجاوزا للحدود (المعلق2)

فهل يأتى بعد ذلك من يزعم أنه مبرراً من الأخطاء والخطايا البشرية ، ويصور لنا نفسه فى صورة ملاك طاهر بريء ، وهو يدرك فى أعماقه أنه قد مارس الخداع مرتين :الأولى مع نفسه ، والثانية مع المجتمع كله